2003 0331 - 0002 - r

أميركيون وشيوعيون و«حركيات» في اعتصام «الأسكوا»

«أرجوكم نحن نساء كبيرات، تجعلون أصواتنا غير مسموعة بهتافاتكم العالية»، تقول تلك السيدة الخمسينية للشباب الذين وصلوا فجأة إلى ساحة «الأسكوا» التي كان من المفترض أن تكون نساء «المجلس النسائي اللبناني» نجماتها عصر أمس. عشرة شباب بكوفيات وأعلام تؤشر بوضوح إلى هويتهم «الشيوعية»، حرصوا على إحضار شموع حمراء أيضا، افترشوا الأرض وبدأوا يغنون. ترحل تلك المحتجة فتتقدم ليندا مطر بشعرها الأبيض مخاطبة الشباب «اهتفوا، غنوا، نريد شبابا وحركة»، يبادرون «أشهدي يا بيروت، اشهدي علينا..»، فترد «غنوا أغنية نعرفها». محاولة أخرى منهم غير مناسبة أيضا، فتقترح «يا بحرية»، إنها الأغنية التي يعرفها الجميع. عظيم.. فتبدأ النساء بالتجمع حولهم. ولكن نساء «أمل» اللواتي كن قد وصلن بغتة إلى المكان كما شباب «الشيوعي»، بلباسهن الموحد وشارات «الحركة» وعلمها أيضا، اصطففن أمام كل النساء الأخريات، صف أقفل المشهد على الأخريات. وبقين هناك من دون حراك. استدار التجمع «الأصلي» وبدل وجهته، لذلك وجدت نساء «أمل» أنفسهن مضطرات لأن ينتقلن إلى الضفة الأخرى ليحاصرن شباب الشيوعيين ويقفن وراء قمصانهم و«غيفارا». التقط الكثير من الصور للشائي «المستجد»، وربما حينها استدركت النساء، فانسحبن ولكن بعد التقاط الصور.

كالرمال المتحركة، كان المشهد في ساحة الاسكوا. في البداية، نساء «المجلس النسائي اللبناني»، يصلن بلافتاتهن، وبعلم عراقي مع هيئات نسائية فلسطينية، وإمرأة عراقية واحدة على الاقل، هي تلك التي كانت تبكي في الأيام الاولى في «الاسكوا» وحيدة، وأمس «أصبح بامكاني أن احكي، لن أبكي اليوم». ثم تصل اللافتة الكبيرة «في العراق كما في لبنان، لا للظلم، لا للحرب» والتوقيع «تنذكرْ تَ ما تنعادْ»». إنها «لجنة أهالي المخطوفين والمفقودين» وحملة «من حقنا أن نعرف». يبدو أن لا تناقض بين الداعي الاول والمشارك الثاني، «نحن أكثر من غيرنا نعرف ما معنى الحرب وكم تؤلمنا الحرب، لذلك نحن متضامنون ومشاركون في كل التحركات من أجل التضامن وإعلاء الصوت أكثر لوقف العدوان على العراق»، تحكي وداد حلواني، أبرز الناشطات في الحملة. وقد لزم الامر ليصبح أكثر وضوحا لافتة أخرى زرقاء «تنذكر» ثم «ت» لوحدها بلون باهت مختلف ثم «ما تنعاد» أي «تنذكر ت ما تنعاد». واضح. ما زالت الحملة على موعد نشاطها في «١٣ نيسان»، وربما أن ما يجري يفتح أكثر الذاكرة على هذا التاريخ.

بالعودة إلى من كانوا في الساحة. كانت الشموع ما تزال صامتة، متضامنة مع بعضها، جمهور من نساء المجلس بأعمارهن المعتادة، مع نساء «حملة من حقنا أن نعرف»، ومن دون أن يبدو ذلك غريبا، تصل أربع نساء فرنسيات (وكلهن مقيمات في لبنان)، ثم تصل مجموعة أميركية (نساء ورجل واحد بكوفية فلسطينية) تصل بعد وقت قصير، وتختار «يمين» الكتلة. في هذا الوقت كانت نساء «أمل» قد وصلن، وفي هذا الوقت كانت أيضا نساء كرديات وصلن أيضا تتبعهن نساء كرديات سرعان ما اختلطن بالكتلة الأميركية. بعد حين اختلط الكل واختفت الشموع بين الحشد إلى أن رتب الحشد نفسه ليفرز بعيدا عنه قليلا نساء «امل» وشباب «الشيوعي». انسحبت نساء «أمل» وبقي الشيوعيون. وهنا كان المشهد الاخير، شباب «الشيوعي» تتجمع عندهم الشموع في محاولة فاشلة لرسم عبارة «لا للحرب»، ثم شابات أميركيات مع لافتاتهن يدعوهن شباب «الشيوعي» لالتقاط صورة تجمعهم وسط الشموع، في حين أن رئيسة المجلس النسائي اللبناني اقبال دوغان ونساء أخريات كن يصرخن في هتافات بجمل طويلة يصعب التقاط ايقاع حماسي لها: «العار لقتلة النساء والاطفال. أنت قاتل الأطفال يا بوش، انت قاتل الاطفال يا بلير» نساء أخريات يقترحن «بوش بلير شارون، نعم لمحاكمة مجرمي الحرب».. ولكن دوغان والنساء ينتهين أيضا حول الشموع والشباب، وتهتف بهن دوغان التي ظهرت فجاة كمحرضة «مشاغبة»: «يا استعمار شو بدك منا خود اغراضك وارحل عنّا»، ثم وبعيار أقوى «يا شارون خود كلابك وارحل عنّا».

أما المذكرة فقد مرت على الهامش، كانت مختصرة، سلمتها دوغان لممثل من «الاسكوا»، وتلتها بصوت «جهوري»، موقعة من عشرات الهيئات النسائية اللبنانية والفلسطينية والهيئات المناهضة للحرب.

إذن، إنها الشموع، التي تناقلتها الكثير من الأيادي، والجميع يحاول أن يقترب من الجميع، الشباب يحاول استقطاب «الحشد الكبير» والنساء تحاولن الهتاف باسم «الشباب» و«عالمية» حاولت أن لا تتناقض مع «محلية»، ومحلية استقوت بـ«عالمية»..... هذا في الوقت الذي كان يقام في الحديقة المجاورة، «حديقة جبران خليل جبران»، معرض لرسوم الفنان الشهيد ناجي العلي.

ض. ح.

أميركيون و«شيوعيون» في الاعتصام النسائي أمام «الأسكوا» (مصطفى جمال الدين)